مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
e-ISSN: 2600-8394 VOL. 8. No. 2 December (1446-2024)

القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني: دراسة تحليلية

The Methodological Principles of Sheikh Darraz in Engaging with the Qur'anic Text: An Analytical Study

سعيد ويدراغو[1]

Ouedraogo Saidou

رضوان جمال الأطرش[2]

Radwan Jamal Elatrash

ملخص البحث:

يمثل التعامل مع النص القرآني أحد الجوانب الأكثر أهمية في الفكر الإسلامي، حيث يشكل الأساس الذي يقوم عليه الفهم الصحيح للدين، وتطبيقاته في الحياة اليومية. وفي هذا السياق، برز الشيخ محمد عبد الله دراز كأحد أبرز العلماء الذين وضعوا قواعد منهجية راسخة في دراسة وتفسير النص القرآني؛ فقد قام بتطوير إطار شامل يمزج بين الفهم العميق للنصوص القرآنية والوعي بالتحديات المعاصرة، مما مكنه من إنتاج رؤية متكاملة تعكس تفاعله العميق مع معاني القرآن. من جهة أخرى، تتضمن منهجية الشيخ دراز عدة جوانب رئيسية، منها التأكيد على أهمية النصوص الشرعية والسنة النبوية كمرجع أساسي لفهم القرآن، وإعمال العقل في إطار التعاليم الإسلامية دون تجاوز الحدود الشرعية. كما دعا إلى ضرورة قراءة القرآن بشكل موضوعي يبرز القيم والأخلاق المستمدة منه، مما يعكس رؤيته الخاصة في تيسير فهمه للأجيال الجديدة. وتوصل البحث إلى نتائج

[1] طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا o.saidou@student.iium.edu.my

[2] أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا radwan@iium.edu.my

مفيدة، منها: أن هذه القواعد العشر، والمنهجية التي وضعها الشيخ دراز لا تقتصر على كونها أسسًا نظرية، بل تُعبر أيضًا عن استجابة فعالة لاحتياجات العصر وتحدياته، مما يجعلها ذات قيمة عالية في سياق الدراسات القرآنية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: قواعد منهجية، محمد عبد الله دراز، تعامل، النّص القرآني، دراسة تحليلية.

ABSTRACT

Engaging with the Quranic text is one of the most critical aspects of Islamic thought, as it forms the foundation for a proper understanding of religion and its application in daily life. In this context, Sheikh Muhammad Abdullah Draz emerged as one of the most prominent scholars who established a solid methodological framework for studying and interpreting the Quranic text. He developed a comprehensive approach that integrates a profound understanding of Quranic verses with an awareness of contemporary challenges, enabling him to present a holistic vision that reflects his deep interaction with the meanings of the Quran. Sheikh Draz's methodology comprises several key aspects, including emphasizing the significance of Islamic texts and the Prophetic Sunnah as fundamental references for understanding the Quran, as well as employing reason within the framework of Islamic teachings without exceeding the boundaries of Sharia. He also advocated for an objective reading of the Quran that highlights the ethical and moral values derived from it, reflecting his unique perspective on making Quranic understanding more accessible to new generations. The research concludes with valuable insights, demonstrating that the ten methodological principles established by Sheikh Draz are not merely theoretical foundations but also constitute an effective response to the needs and challenges of the modern era. This renders them highly relevant within the context of contemporary Quranic studies.

Keywords: Methodological principles, Muhammad Abdullah Draz, engagement, Quranic text, analytical study.

مقدمة البحث:

يُعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول والأساس في التشريع الإسلامي والفكر الحضاري، ويحتلُّ مكانةً مركزية في توجيه السلوك الإنساني ورسم معالم الحياة الاجتماعية والفكرية. وقد أثار هذا النص العظيم اهتمام العلماء عبر العصور، فأفردوا له مناهج دقيقة وأدوات منهجية لدراسته وفهمه وفق

أصول علمية رصينة. ومن بين أعلام العلماء الذين أبدعوا في وضع قواعد منهجية للتعامل مع النص القرآني، يبرز اسم الشيخ محمد عبدالله دراز (رحمه الله) كأحد الرواد الذين جمعوا بين عمق الفهم للنصوص الشرعية واستيعاب العلوم الحديثة. ومن المهم أن ننبه كما قال الأستاذ عمرو الشرقاوي في بداية المقدمة لكتاب النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، أن لباب فكره يوجد في أربعة كتب وهي: دستور الأخلاق في القرآن، و الدين، و النبأ العظيم، و مدخل إلى القرآن الكريم، وكتيب بعنوان: كلمات في مبادئ علم الأخلاق. ففي هذه الأعمال سكب دراز روحه وعقله، فهي تغني غير المتخصص عما سواها، وما عداها من أعمال دراز مجرد توليد وتقريب لما ورد من أفكار كبرى في هذه الكتب الأربعة[3].

اشتهر الشيخ دراز بمنهجه المتوازن الذي يمزج بين الأصالة والمعاصرة، إذ عمل على تقديم رؤية منهجية دقيقة تتسم بالشمولية والموضوعية في فهم القرآن الكريم وتحليله. وقد كان اهتمامه منصبًا على كيفية استنباط المعاني والدلالات من النص القرآني وفق قواعد تضمن تحقيق مقاصد الشريعة وإظهار إعجاز النص في جوانبه المختلفة.

ومهما يكن من أمر، فإن الأستاذ محمد عبد الله دراز يرى أن النبي الكريم ﷺ كان يتوقف أحياناً في فهم مغزى النص القرآني، حتى يأتيه البيان، وفي موقفه في قضية المحاسبة على النيات، حين نزل قوله: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ [البقرة: 284]؛ أزعجت الآية الصحابة إزعاجاً شديداً، وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر؛ لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء، حتى حركات القلوب وخطراتها. أخرج الإمام مسلم في صحيحه الحديث الآتي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ

[3] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به: عمرو الشرقاوي، (مصر: عالم الأدب للترجمة والنشر، ط6، 2022م) ص27.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
e-ISSN: 2600-8394 VOL. 8. No. 2 December (1446-2024)

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، قَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285]. فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ»[4]. يقول الأستاذ دراز، فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات، حتى أنزل الله بيانها، بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، إلى آخر السورة المذكورة، وهناك علموا أنهم إنما يحاسبون على ما يطيقون من شأن القلوب، وهو ما كان من النيات المكسوبة والعزائم المستقرة، لا من الخواطر والأماني الجارية على النفس بغير اختيار[5]. وموضع الشاهد منه أن النبي ﷺ لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ولأزال اشتباههم من فوره؛ لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم في أشد الحاجة إليه، ولم يكن ليتركهم في هذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رءوف رحيم، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها.

[4] أخرجه الإمام مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ، رقم الحديث: 199 – (125).

[5] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، (بيروت: دار القلم، 2005م) ص57.

يقول الأستاذ دروزة رحمه الله: نحن نميز تحت لفظة "القانون الأخلاقي" –كما يميز جميع الباحثين تحت اسم الجنس– فرعين مختلفين هما: النظرية والتطبيق. والواقع أن دراستنا للنص القرآني قد أوحت إلينا، لا بوجود هذين الفرعين لعلم الأخلاق في القرآن –فحسب، بل لقد كشفت لنا عن أن الصورة التي جاءت بها بلغت درجة من الكمال لا يُبتغى وراءها شيء[6].

الأهمية العلمية للبحث: إن الكتابة حول هذا الموضوع يساعد في الآتي:

1. تطوير مناهج البحث في الدراسات القرآنية يتجلى في استقراء لمنهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التعامل مع النص القرآني، مما يثري الفهم المعاصر للقرآن.

2. توسيع دائرة البحث في الدراسات الإسلامية يظهر في إبراز منهجه لعلاقة النصوص القرآنية بالقضايا الفكرية والفلسفية.

3. تعزيز التفكير النقدي والتحليل الموضوعي يتبلور في نموذجه لفهم النص القرآني، مبتعدًا عن التكرار والتقليد.

4. الحوار العلمي بين الثقافات يُعزَّز بدعمه للدراسات المقارنة بين القرآن والنظريات الأخلاقية والفكرية الأخرى.

5. **مراعاة البعد التاريخي والاجتماعي للنص** تتجسد في منهجه، مما يمنح فهمًا أعمق للآيات في سياقاتها الأصلية والمعاصرة.

6. **إبراز البعد المقاصدي للأحكام** يظهر في تحليله، مما يساعد على تجديد الاجتهاد الفقهي وفق متطلبات العصر.

[6] محمد بن عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1998م) ص8.

7. **الاعتماد على المنهج المقارن في تحليل النصوص** يعد قاعدة منهجية واضحة في دراسته، مما يسمح بمقارنة النصوص القرآنية بالنظريات الفلسفية والأخلاقية الأخرى لتعزيز الحوار الفكري.

الأهمية العملية والتطبيقية للبحث:

1. يسهم البحث في تقديم منهجية علمية رصينة لدراسة النص القرآني، مما يتيح للباحثين أدوات تحليلية متقدمة لفهم دلالاته واستنباط مقاصده.

2. يساعد على تطوير مناهج تفسير القرآن الكريم، مما يعزز قدرة الدراسات القرآنية على مواكبة القضايا الفكرية المعاصرة ومعالجتها برؤية متجددة.

3. يوفر إطارًا أكاديميًا يمكن تطبيقه في المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية، مما يسهم في بناء جيل من الباحثين القادرين على التعامل مع النصوص القرآنية بوعي علمي ومنهجي.

4. يعزز الحوار بين الدراسات القرآنية والعلوم الإنسانية، مما يفتح آفاقًا جديدة للتفاعل بين التفسير القرآني والفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث.

4. يساهم في ضبط مناهج التأويل المعاصر للنص القرآني، مما يحدّ من التأويلات المتطرفة ويعزز الفهم الوسطي المتوازن للنصوص الدينية.

5. يساعد في بناء استراتيجيات تعليمية تسهم في تدريس القرآن الكريم وفق مناهج علمية دقيقة، مما يرفع مستوى الوعي القرآني لدى الطلاب والباحثين.

6. يدعم جهود التجديد في الفكر الإسلامي من خلال استلهام القيم القرآنية في بناء منظومات معرفية وأخلاقية تخدم المجتمع المعاصر.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
e-ISSN: 2600-8394 VOL. 8. No. 2 December (1446-2024)

تحديد المصطلحات المتعلقة بالبحث:

القواعد لغةً: هي جمع قاعدة، وتطلق بمعنى الأصل والأساس الذي يبنى عليه دائماً غيره ويعتمد؛ وكل قاعدة فهي أصل للتي فوقها ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة:127]؛ وقاعدة الباب هي الأصل الذي يبنى عليه مسائله، فلا يختلف في علم دون علم. فالقاعدة من ناحية اللغة، وُضِعت لتكون لما هو الأساس للشيءِ؛ سواء أكان ذلك الشيء حسيّاً أو معنويّاً، على نحو ينعدم الشيء ويضمحلّ بسبب انتفائه، وهكذ البيت مثلًا: ينعدم بانعدام أصوله، والدين يندرس باندراس أساسه، والعلم ينتفي بانتفاء القواعد الكليّة الموجودة فيه[7]. يقول ابن منظور: «والقاعدة: أصل الأسّ، والقواعد: الأسس، وقواعد البيت أسسُه. واستدل بهذه الآية أيضاً، وهي قوله تعالى: ﴿**فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ**﴾ [النحل: 26]، قال ابن قتيبة: أي من الأساس[8]. وَقَالَ ابنُ الأَثير المراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل، تشبيهاً بقواعد البناء. ويقول: الزجاج: "القواعد أساطين البناء الّتي تعمده، وقواعد الهَوْدَج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركّب عيدان الهودج فيها"[9]. والملحوظ في هذه التّعريفات اللّغوية: أنّ هناك دلالة تدل على الرسوخ والانتصاب والثبات مع قيام غيره عليها، فقاعدة كل شيء أساسه وأصوله التي ينبني عليها.

---

[7] انظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، **معجم مقاييس اللغة**، (مادة قعد) (دار الفكر: دمشق، د،ط. 1399هـ – 1979م)، ج5، 107. وانظر: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفَوي، تحقيق: د، عدنان درويش ومحمد المصري، **الكليّات**، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1419هـ/ 1998م)، ص702. وانظر: خالد بن عثمان السّبْت، **قواعد التفسير جمعًا ودراسةً**، (دار ابن عفّان، السّعوديّة، ط1، 1417هـ/ 1997م)، ص22-23.

[8] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م) ص242.

[9] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص361. وانظر: الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج9، ص .

القواعد اصطلاحاً:

القاعدة: يعرف الشريف الجرجاني القاعدة: "بقضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"[10]. ويعرفها صاحب معجم معاييس اللغة: بأنها حكم كليّ يُتعرف به على أحكام جزئيات[11].

أما المقصود بالقواعد تعريفاً مركباً بالقرآن أو تفسيره فيمكن تعريفها بأنّها: مجموعة من الضوابط يستفيد منها المقدم على تفسير القرآن الكريم، والتّعامل معه، والباحث عن معاني آياته والمستنبط لدلالات أحكامه، فهي قواعد تعين المفسر، وتيسر له سبيل الفهم والاستقراء والاستنباط، والعلم بها، والانضباط لما تقتضيه، لتؤهل المفسر لإدراك مراد الله تعالى في كتابه[12].

مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً:

تعريف المنهج لغةً: يقول ابن فارس اللّغوي: أنّ كلمة منهج جمعها مناهج. على وزن مَفْعَل من الفعل الثلاثي، نهج؛ من ثلاثةِ حروف: النّون، والهاء، والجيم. وهما أصلان متباينان: الأول: النهج، ومعناه الطريق الواضح؛ يقال: نهج لي الأمر: أي أوضحه. ويقال: هو مستقيم المنهاج؛ والثّاني: الانقطاع. وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً، أي منقطع النفس. وضربت فلاناً حتى أنهج، أي

[10] انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص176.

[11] انظر: **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص107. وانظر: **الكليات**، ص702. وانظر: خالد بن عثمان السّبْت، **قواعد التفسير جمعًا ودراسةً**، ص22-23.

[12] انظر: د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس، **نظرات في قواعد تفسير القرآن الكريم**، (مقالة تحت إشراف: المملكة المغربية الرّابطة المحمّدبّة للعلماء 2021م/ 06/ 17،)، منقول يوم الإثنين الموافق: 2023م/ 03/4. الرابط: https://www.arrabita.ma/blog.

سقط[13]. ويقال: أنهجَ الطّريقُ، أي: استبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً، وفلانٌ يستنهجُ سبيل فلانٍ، أي يسلك مسلكه[14].

وفي كتاب العين، جاءت كلمة المنهج لتدل على النهج، يُقال: طريقٌ نَهْجٌ أي يُعنى به واسِعٌ واضِحٌ، وطُرُقٌ نَهْجةٌ على الجمع. ونَهَجَ الأمرُ وأَنْهَجَ- لغتان- معناه: وضح. ومِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه. والمِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ[15]. كما أنه يقال أيضاً: نهج الطريق نهجاً ونهوجاً أي وضحت له معالمه وظهرت له ملامحه واستبانت له فسلكه، واستنهج الطريق أي صار نهجاً، ونهج سبيل فلان أي اتبع مسلكه الذي سار عليه. ويقال: نهج الطَّريقُ، أي استبان[16]. وقال زين الدين أبو عبدالله في تعريفه للمنهج: ن هـ ج: (النَّهْجُ) يأتي بِوَزْنِ الْفَلْسِ، وَالْمَنْهَجُ بِوَزْنِ الْمَذْهَبِ[17].

يقول الزَّبيدي: النَّهَج، جمعه نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ. وطُرُقٌ نَهْجَةٌ: وَاضحةٌ (كالمِنْهَج)، بِالْكَسْرِ. وفي القرآن قوله تعالى: ﴿**لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ [المائدة: 48][18]. وهو نفس الكلام الذي استشهد به ابن منظور، واستشهد بالآية الكريمة، قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا**

[13] انظر: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م)، ج5، ص361.

[14] انظر: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، ج1، ص 512.

[15] انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج3، ص392.

[16] انظر: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، د.ط، 1424هـ/2003م)، ج2، ص194.

[17] انظر: أبو عبدالله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصّحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط5، 1420هـ / 1999م)، ص320.

[18] انظر: أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دمشق: دار الهداية، د.ط، د.ن)، ج6، ص251.

﴿مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً[19]. ويعرف ابن كثير المنهاج بأنّه: "الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله: تعالى ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:48] بالسبيل والسنة"[20].

هذا، ومن خلال ما تقدم من التّعريفات اللّغوية اتّضح للباحثين أن معنى المنهج في اللغة، المفردات الآتية: الطّريق، الوضوح، الاستقامة، السعة، البيان، السّلوك، الوصول إلى المطلوب، السّهولة، الإمهار، قطع النفس، السقوط.

تعريف المنهج اصطلاحاً:

هناك ارتباط قويّ بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وإن اختلف بعض الجوانب، فيمكن للباحثين استعراض بعض تلكم التعاريف للتوقف على المعنى المنهج اصطلاحاً عند العلماء، منها ما يلي:

المنهج في الاصطلاح: هو: الطريق الواضح في التعبير عن شيء ما بنظام معيّن، بغية الوصول إلى غاية معيّنة[21]. وهو كذلك: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" [22]. وهو بهذا يكون برنامجاً يحدد لنا السّبيل، ويبيّن لنا كيفية الوصول إلى الحقيقة؛ أو هو ذاك الطّريق المؤدّي

---

[19] انظر: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج2، 383.

[20] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/ 1999م)، ج3، ص129.

[21] انظر: د. محمود النقراشي السيد علي، **مناهج المفسِّرين من العصر الأول على العصر الحديث**، (مكتبة النهضة: القصيم، ط1، 1407هـ/ 1986م)، ج1، ص13. منقول

[22] انظر: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ/2005م)، ج1، ص315.

إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، ومن الملحوظ أنّ هذه الألفاظ تعطي معاني عامة، فتندرج تحتها كل طريقة تؤدّي إلى عرض معلوم نريد الوصول إليه، وتصلح هذه التعريفات لكل مجال من المجالات الحياة[23].

تعريف مناهج المفسرين:

هي الطرائق التي رسمها المفسرون، للسير على ضوئها في الكشف عن مراد الله تعالى، واستخراج حكم القرآن الكريم، واستقصاء القواعد الأخلاقية المكنونة فيه وفق وسعهم وطاقتهم البشريّة[24]

"فمنهج الماتريدي في التفسير مثلاً هو الطريق الذي سلكه للكشف عن معاني القرآن بواسطة مجموعة من السبل يسلكها اختطها لنفسه واختارها دون غيرها، للوصول إلى مراده من تفسيره للقرآن الكريم"[25].

النص القرآني:

النص القرآني ليس مجرد كلمات تُقرأ أو تُتلى، بل هو مصدر شامل للحكمة والإرشاد، يهدف إلى توجيه الإنسان نحو الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. لذلك، يتعين على المفسر أن يُبرز القيم والمعاني المتعددة التي يحملها النص، ويستخرج منها الأحكام التي تتعلق بحياة الفرد والمجتمع.

النّص لغةً: يأتي بمعنى الظهور والارتفاع، تقول العرب في كلامهم، مثلاً: نصت الظبية رأسها، إذا أظهرته ورفعته، ونص فلان الحديث إلى فلان، إذا رفعه إليه، وهو بمعنى رفع الشيء إلى أقصى غاية

---

[23] انظر: عبدالرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، (وكالة لمطبوعات شارع فهد السالم: الكويت، ط3، 1977)، ص5-6.

[24] انظر: د. عيادة أيوب الكبيسي، **مناهج المفسرين بين الأثر والتّجديد عرض ونقد**، (مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الشارقة/ كلية الشريعة، 1431هـ/ 2010م)، ص107.

[25] **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة**، ج1، ص315.

له. ومن تفسير ذلك يقول ابن فارس: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، والنص في السَّير: أرفعه ... ونصُّ كل شيء منتهاه وغايته[26]. ويُطلق النص لغة: على الإسراع في السير، ومنه جاء حديث: (إذا وجد فرجة نصَّ)[27] أي: أسرع[28].

مفهوم النّص اصطلاحاً: تعريف النّص اصطلاحاً عند الأصوليين:

يقول الجصاص الحنفي في تعريفه قال: النص هو: "كلُّ ما يتناول عيناً مخصوصةً بحكمٍ، ظاهرِ المعنىَ بيّنِ المراد فهو نصٌّ، وما يتناوله العموم فهو نصٌّ أيضاً، وذلك لأنه لا فرق بين الشخص المعيَّنُ إذا أشير إليه بعينه وبين حكمه وبين ما يتناوله العموم".[29] وعرفه القاضي أبو يعلى في كتابه

[26] انظر: لابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج 5، ص356. وانظر: القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، (د.ن، ط2، 1410 هـ - 1990 م)، ج5، ص137.

[27] الإمام البخاري، يروي الحديث في كتابه: **صحيح البخاري**: قال حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى، عن هشام، قال: أخبرني أبي، قال: سئل أسامة بن زيد رضي الله عنهما –كان يحيى يقول وأنا أسمع فسقط عني – عن مسير النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، قال: «فكان يسير العنق، فإذا وجد فجوة نص والنص فوق العنق» انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب: الجهاد والسير، باب: السرعة في السير، ج4، ص58، رقم الحديث: 2999.

[28] انظر: محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الددو" الشنقيطي، **شرح الورقات في أصول الفقه**، (مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)، ج3، ص15. http://www.islamweb.net.

[29] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، **الفصول في الأصول**، (وزارة الأوقاف: الكويتية، ط2، 1414هـ/ 1994م)، ج1، ص59.

المرسوم بـ العدة في أصول الفقه، فقال: "والصحيح أن يقال: النص ما كان صريحًا في حكم من الأحكام، وإن كان اللفظ محتملاً في غيره"[30].

ويُعنى بالنصّ هنا النّص القرآني: خطابه المضمّن في ألفاظه، بعموم دلالاته وأحواله، الذي له من الصلاحية الربانية والتجرّد والإطلاق والعالمية ما يدرأ عنه التحيز ويضفي عليه كامل الموضوعية. وهي سمات لا تُرى إلا فيه، وفيما صح من السُّنّة النبوية التابعة له؛ بيانًا وتفصيلًا، وهما أصلان لبقية أصول الشريعة، ومُستمَدُّ كلياتها وقواعدها المعتبرة. وقد أشار الإمامُ الشاطبي إلى أصالة القرآن الكريم ومكانته في الشريعة الإسلامية في نصٍّ جامعٍ، يقول –رحمه الله–: «إنّ الكتاب قد تقرّر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملّة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسُّك بشيء يخالفه، وهذا كلّه لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها، أن يتخذه سَمِيرَه وأنيسَه، وأن يجعله جليسَه على مَرّ الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبُغْيَة، وأن يظفر بالطِّلْبَة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول»[31].

والقرآن نصٌّ لغويٌّ يمكن وصفه بأنّه يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصّاً محورياً. وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الاسلامية بأنها حضارة «النّص»، بمعنى أنها حضارة أنبتت

[30] أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، (د.ن، ط2، 1410هـ، 1990م)، ج1، ص138.

[31] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان: بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م)، ج4، ص144. وانظر: د، الطيب شطاب، دوْر المصطلح في فهم النّص القرآني، (مقالة علمية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، 12صفر 1442هـ ٢٩ سبتمبر، ٢٠٢٠)، https://tafsir.net/author/3589/at-tyb.

أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس لا يمكن تجاهل مركز «النّص» فيه. وهذا لا يعني أنّ النّص بمفرده هو الذي أنشأ تلكم الحضارة، فالنّص أيّاً كان لا ينشيء حضارة ولا يقيم علوماً وثقافة، بل إنّ الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة هو نتيجة جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى، فتفاعل الإنسان وحركته مع الواقع وجدله معه –بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية . هو الذي ينشيء الحضارة . وللقرآن في حضارتنا دور ثقافي لا يمكن تجاهله في تشكيل ملامح هذه الحضارة وفي تحديد طبيعة علومها[32] فيرى الباحث أنّ النص له دور كبير في تصحيح مسار الحضارة والثقافة ويوجه البشر إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، أما حركة الإنسان فهي تكون نتيجة لتوليد هذه الحضارات والثّقافات ولكن النّص هو آلة التفحيص وموجه الإنسان إلى معرفة التعامل مع هذه الحركات.

القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني:

يتطلب التعامل مع النص القرآني عدة جوانب، منها الفهم اللغوي والدلالي للألفاظ، والاستناد إلى السياق التاريخي والاجتماعي الذي نزل فيه الوحي. إذ يعد الشيخ محمد عبدالله دراز من أبرز العلماء والمفكرين الذين أثروا في مجال الدراسات القرآنية، حيث جمع بين المنهجين النظري والعملي في تفسيره وفهمه للقرآن الكريم، لذلك تمتاز رؤيته بأنّها تتمحور حول أهمية القرآن كمرجع شامل للحياة الإنسانية، حيث ينظر إليه كدليل لا يقتصر على الجانب الروحي فحسب، بل يمتد ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية. ومن أهم القواعد التي اعتمد عليها الأستاذ العبقري محمد عبد الله دراز في التعامل مع النص القرآني، ما يلي:

[32] انظر: نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن**، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب: بيروت– لبنان، ط1، 2014م)، ص9.

القاعدة الأولى: الجمع بين النظرية والتطبيق: اعتمد الشيخ دراز منهجًا متكاملًا يجمع بين التنظير والتطبيق، حيث أسس قواعد علمية لدراسة القرآن مع التركيز على تطبيقها في الواقع المعاصر:

فمن الناحية النظرية، استند دراز إلى أسس علمية دقيقة، حيث عكف على دراسة اللغة العربية، والبلاغة، والعلوم الشرعية، مما ساهم في فهم النصوص القرآنية بعمق. وقد استخدم منهجاً نظرياً تحليلياً يركز على دلالات الألفاظ، وترابط الآيات، مما أتاح له استنباط معانٍ جديدة تلبي احتياجات العصر.

والقصد من هذا المنهج النظري، أنه اهتم بوضع القواعد الأساسية لاستخلاص المبادئ الأخلاقية وتحديد مصدر القرآن وإعجازه. فهو رحمه وضع قواعد أساسيّة وكأنه أسس من خلالها قوانين استخلص منها مبادئ الأخلاق في القرآن، وبين كذلك من خلالها مصدرية القرآن ووجوه إعجازه، مع المسائل التي تتعلق بجوهره، وتندرج تحت هذه القواعد فصول، وموضوعات فرعيّة، وتقسيمات عديدة. وفي الحديث عن مصدرية القرآن، أشار الأستاذ دراز إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قد أقر بأن القرآن ليس من عنده، وإنما هو وحي من ربه إليه، وحجية هذا الإقرار: أن القرآن حج العرب، وعجزوا أمامه، فالمصلحة تقتضي أن ينسب محمد ﷺ القرآن له، لتروج زعامته، ويرتفع قدره عند هؤلاء القوم، ولم يفعل، وحاشاه أن يفعل! وإنما لم يفعل؛ لأنه صادق أمين، ولم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[33]. ذلك أن صفاته وشمائله قبل النبوة وبعدها، تأبى أن يكون كاذبا، فقد كان أعداؤه قبل أصحابه يشهدون له بالصدق، والأمانة، ولم يقل أحد منهم قط: إنه كاذب. ثم إن في تأخر نزول الوحي عليه في الحوادث المهمة، والتي تتعلق بشأنه الخاص، كحادثة الإفك، والآيات التي تشتمل على عتابه ﷺ، وتوقفه في تأويل بعض الآيات حتى

[33] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص32.

ينزل الوحي، وسائر أموره العامة = كل ذلك دليل على بطلان أن تكون هذه الشخصية من الشخصيات التي تتوصل إلى مرادها بالكذب والتمويه[34].

من جهة أخرى، لم يقل محمد عبدالله دراز أنه الأول الذي قام باستخراج المبادئ الأخلاقية في المجال النظري، بل حصل هناك محاولات خلال القرن التاسع عشر، إلا أنه كان محدوداً في المؤلفات، وكان مهتماً في الحديث عن علم الأخلاق العام، ويستقي ويدرس ويقرأ ويقارن وينتقد الكتب الأوروبية التي تعالج مسائل الإسلام الخاصة، ذات النظرة المحدودة. غير أن في إطار هذه المحاولات، كان في الغالب محدداً لنظريته الأخلاقية ذات المضمون السامي، والتي استنبطت بشكل دقيق من المعجزة القرآنية الحقة. يقول الأستاذ دراز: لقد يكون في وسع الإنسان أن يستغني طول حياته عن بعض مسائل العلم والمعرفة، فلا تخطر له ببال، بل قد يستطيع أن يستغني عنها جميعها، فترة طويلة أو قصيرة من عمره، ولكن أحداً لن يستطيع أن يخلي همَّه من المسألة الأخلاقية طرفة عين[35].

فمن حيث الإطار المقارن نجد أن الشيخ دراز ينتقد محاولات الغرب، ذلك لأنهم أغفلوا حتى في الجانب النظري من المسألة، لاقتصار تلك الجهود على دراسة آيات قليلة، فليس هنالك عالم أوروبي واحد حاول أن يستخلص من القرآن مبادئه الأخلاقية العامة، ويقدمها في صورة دستور كامل؛ وإنما انحصرت كل جهودهم في أنهم جمعوا عددًا، قليلًا أو كثيرًا، من الآيات القرآنية المتعلقة بالعبادة، أو بالسلوك، وترجموها ترجمة حرفية.

أما لدى المسلمين في مكتبتهم الإسلامية، فانحصرت الجهود ذات الطابع الأخلاقي المستنبط من القرآن على أمرين: فهي إما نصالح عملية، تهدف إلى تقويم أخلاق الشباب؛ أو هي

[34] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص33.

[35] محمد عبد الله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، (المملكة المتحدة: يورك هاوس، شييت ستريت، وندرسور: مؤسسة هنداوي، 2021م) ص17.

وصف لطبيعة النفس وملكاتها، ثم بيان فضيلة الأخلاق وتقسيمها إلى أقسام. هذا، ولم يظهر النص القرآني كلية فيما كتبوا بشكل عام، وإن ظهر فهو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية. أما مدارسة الموضوع الرئيسي كالأخلاق القرآنية لدى المسلمين أو المستشرقين، لم تكن على مستوى سامق لا من الناحية النظرية، ولا من الناحية التطبيقيّة[36].

أما من الناحية العملية، فقد عمل دراز على تطبيق المفاهيم القرآنية في الحياة اليومية، مشجعاً على التفاعل مع النصوص القرآنية، بطريقة تمكن الأفراد من استنباط القيم، والأخلاق السامية من القرآن، فإن هذه الطريقة المنهجية تساهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية والتربوية؛ كما كان له دور في تعزيز الفهم الجماعي للقرآن، مما يساهم في بناء مجتمعات قائمة على المبادئ القرآنية. فالأخلاق ضرورة الحياة العملية، ف

ويقصد بهذا المنهج العملي: استقصاء الأحكام العمليّة ومعالجتها وفق ما جاء بها القرآن في ذاتها. هذا ويستعينُ دراز للتّعامل مع هذا العنصر بأمورٍ كالتّالي: إيجاد موضوعات وتأسيس قواعد خاصة مختصرة التي تعينهُ في استقراء الآيات القرآنية العمليّة، أو الوقائع التي لها صلة بالموضوع.

وبالتالي فإن المنهج التطبيقي يُبحث من خلاله عن المبادئ الكليّة، والمعاني الجامعة التي تشتق منها تلك الواجبات الفرعيّة؛ نحو: البحث عن حقيقة الخير المطلق، وفكرة الفضيلة من حيث هي، وعن مصدر الإيجاب ومنبعه، وغير ذلك من مقاصد العمل البعيدة وأهدافه العليا، وهذا، ما يسمّى بعلم الأخلاق النظري، وهو في الحقيقة داخل علم الأخلاق العملي. أمّا الأخلاق العملية فتتعلق بالعمل والبحث عما يجب وينبغي العمل به والتحلّي به، فإذا تعلّقت هذه الفلسفة بالحق الذي يعتقد، كانت نظرية في أداتها، وفي موضوعها معاً، وهو يصفها بأنها: تركيب لتراكيبفهي لا تلبي فقط كل المطالب الشرعية، والأخلاقية، والاجتماعية، والدينية، ولكن نجدها، في كل خطوة،

[36] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص29-31.

وقد تغلغل فيها بعمق روح التوفيق بين شتى النزعات، فهي متحررة ونظامية، عقلية وصوفية، لينة وصلبة، واقعية ومثالية، محافظة وتقدمية –كل ذلك في آن[37]. وإن تعلقت بالخير الذي يُفعل، كانت نظرية في أداتها، تطبيقيّةً في موضوعها. فعلم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل.[38]

أمثلة تطبيقية حول المنهجين النّظري والتّطبيقي

في بيان تلكم الدراسة النظريات الدقيقة التي سار على دربها الشيخ محمد عبدالله دراز وسلك مسلكها في الأغلب هو أنّه إذا أراد أن يدرس قضية من القضايا ويعالجها يبتكر قواعد جديدة عامة ويوزعها حسب ما يتطلب الموضوع. ويتجلى من ذلك نماذج كثيرة خاصة في كتاب: (دستور الأخلاق في القرآن):

يبيّن الشيخ محمد عبدالله دراز الفرق بين دراسته وغيره من العلماء، من غيره، فقال: أنّ دراسته تتميّز تحت لفظة "القانون الأخلاقي" –كما يميز جميع الباحثين تحت اسم الجنس– فرعين مختلفين هما: النظرية والتطبيق[39]. ثم ذكر تمهيداً ويندرج تحته الجانب العملي والنظري.

ويختلف منهج الشيخ محمد عبدالله دراز أيضًا عن المنهج العام لكثير من العلماء؛ وذلك أن ما يهم غالبية علمائنا في المقام الأول، هو الجانب الاقتصادي، أو الشرعي؛ أما الشيخ محمد عبدالله دراز، فإنه يركز اهتمامه على المجال الأخلاقي؛ واضعاً كل مسألة مستنبطة من المصطلحات تُصاغ بصورة أخلاقية، ومتّخذاً من القرآن ذاته، نقطة انطلاق في دراسته، بحيث إنّ دأبه الدائب استخلاص واستخراج الإجابة عن كل مسألة من المسائل الأخلاقية، ويتم ذلك بالرجوع المباشر

[37] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص686.

[38] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، د. ط، 2021م)، ص17–18.

[39] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص8.

إلى النص؛ وهنا تكمن الصعوبة؛ إذ أن النصوص المتعلقة بالنظرية الأخلاقية، ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العملية الأخرى[40].

القاعدة الثانية: عدم اشتراط استيعاب استقراء النصوص كافة

لم يكن الشيخ دراز يرى ضرورة استقصاء جميع النصوص القرآنية ذات الصلة بكل موضوع، بل اكتفى بذكر بعضها، شريطة أن تكون ذات دلالة كافية على القواعد المختلفة للسلوك، فقد كان منهجه قائمًا على الانتقاء المدروس، بحيث تُستخلص القواعد العامة من آيات محددة دون الحاجة إلى ذكر كل ما ورد حول الموضوع. لكنه قال: إن الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية، يقتضينا حين نطلب تفسير حقيقة معينة، أن نبدأ بمعرفة عناصرها العامة، ومقوماتها الكلية، قبل أن نأخذ في البحث عن مميزاتها ومشخصاتها[41]. ثم قال رحمه الله: نستطيع دراسة القرآن الكريم من زوايا جد مختلفة، ولكنها جميعاً، يمكن أن تنتهي إلى قطبين أساسيين: الأول: اللغة، والثاني: الفكر، ثم قال: فالقرآن كتاب أدبي وعقيدي في نفس الوقت، وبنفس الدرجة. فباعتباره كتاب لغوي وبلاغي تتطلب دراسته دراية واسعة وعميقة باللغة العربية التي أنزل بها نصه الأصلي، وغالبية المجتمع الأوروبي لم يألف هذه اللغة. أما جانبه الثاني، فلا يتطلب من الدارس أن يكون عربياً أو متحدثاً بالعربية، ليضطلع بدراسة جدية ومثمرة للقرآن. وكنز الأفكار في القرآن يتكشف من ثنايا أسلوبه الأدبي الرفيع، وله في ذلك ثلاثة مجموعات:

المجموعة الأولى: طبيعة دعوته، وهي مجموعة في تلك الحلول للمشكلتين الخالدتين: المعرفة، والسلوك. المجموعة الثانية: أساليب الإقناع التي يستخدمها لإثبات صدق هذه الدعوة.

[40] انظر: المرجع السابق: ص13.

[41] انظر: محمد عبد الله دراز، الدين: **بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، (الكويت: دار القلم، 1952م) ص28.

والمجموعة الثالثة: البراهين التي يدلل بها على الطابع الرباني المقدس الذي ينعت به رسالته[42]. ثم قال: نستطيع إذن دراسة القرآن من هذه النواحي، بعيداً عن نصه العربي، إذا توفرت لنا ترجمة سليمة[43].

القاعدة الثالثة: تجنب التكرار والالتزام بنظام منطقي في عرض المفاهيم

حرص الشيخ دراز على تجنب التكرار بقدر الإمكان، واتبع نظامًا منطقيًا في ترتيب القضايا القرآنية، بدلًا من السير وفق نظام ترتيب السور، كما فعل الإمام الغزالي، أو ترتيب المفاهيم وفق النظام الأبجدي. وقد مكّنه هذا الأسلوب من تقديم رؤية واضحة ومترابطة، تُيسر للقارئ متابعة الموضوعات القرآنية بوضوح ودقة. فحينما عرف الدين مثلاً، قال رحمه الله: أما الإسلاميون، فقد اشتهر عندهم تعريف الدين، بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة، باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. ثم أتبعه بقول الغربيين، وذكر أقوال أربعة عشر عالماً من علماء الغرب، واستحضر تعريفاتهم عن الدين، وأنا أختار ثلاثة منها: الأول: يقول سيسرون في كتابه عن القوانين: الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله، ويقول كانت في كتابه: الدين في حدود العقل: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية، ويقول الأب شاتل، في كتاب: قانون الإنسانية: الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه[44]. ثم استخلص من هذه التعاريف: أن كل ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل، أو عبادة الحيوان، أو النبات، أو الكواكب، أو الجن، أو الملائكة...إلخ، تخرج بمقتضى هذه التعاريف عن أن تكون ديناً، مع أن القرآن قد سماها كذلك، حيث يقول:

---

[42] انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، (الكويت: دار القلم، 1984م)، ص16.

[43] انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص15-16.

[44] انظر: محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص33-34.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: 85]، ويقول سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]. فالمتدين يهدف بتقديسه إلى حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان، وإن كانت تعبر عنها الأذهان، فإنها تشير إلى ذات مستقلة، قائمة بنفسها. ثم إن هذا التقديس الديني ليس تقديساً لذات أيّاً كانت، وإنما هو تقديس لذات لها صفات خاصة، هذه الصفات ليس مما يدخل في دائرة مشاهدات المتدين، وإنما هو شيء غيبي لا يدركه إلا بعقله ووجدانه[45]. وبالتالي فهو عندم يخضع لمعبوده يخشع ويسجد لعظمته طواعية لا عن كراهية، لأنه يقوم في ذلك بحركة نفسية من التمجيد، والتقديس تأتي طبيعتها أن تؤخذ قهراً، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [آل عمران: 83] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: 15]. فالخضوع الكلي للمعبود ليس هو الخضوع الذي يخلق اليأس، ويكبت النفس، ويغل من الجهد، ويحد مجال العمل، ويسد باب الأمل، بل هو شعور يرفه عن القلب، بما يفتحه أمامه من آفاقه الإمكان، وهو شعور يضع عن النفس الأثقال، ويحطم ما حولها من الأغلال[46].

القاعدة الرابعة: تنظيم النصوص وفق فصول مترابطة تسهل على القارئ الوصول إلى الأحكام

اعتمد الشيخ دراز في منهجه على تصنيف النصوص القرآنية في فصول، بحيث تُجمَّع النصوص ذات العلاقة الوثيقة بموضوع معين تحت عنوان رئيسي، ثم يتم تقسيم كل فصل إلى مجموعات صغيرة تحمل عناوين فرعية، تعكس جوهر الأحكام المستنبطة منها. وقد أسهم هذا المنهج في بناء تصور متكامل للحياة العملية، وفق التصور القرآني، بحيث يُتاح للقارئ أن يجد الحكم الشرعي المتعلق بأي جانب من جوانب حياته بسهولة ويسر. فعلى سبيل المثال، من الأسئلة التي حاول منهجه الإجابة عنها:

[45] انظر: محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص41.

[46] انظر: محمد عبد الله دراز، الدين: **بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص49.

- كيف ينبغي للإنسان أن يتعامل مع نفسه؟
- ما هي المبادئ التي تحكم العلاقات داخل الأسرة؟
- كيف يكون التفاعل مع المجتمع الأوسع؟
- ما الأسس التي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟
- كيف تُنظم العلاقات بين الدول والمجتمعات؟
- ما هو المنهج الذي ينبغي للإنسان اتباعه في عبادته لله؟

وبفضل هذا النهج، جاء عرضه للنصوص واضحًا، محددًا، بعيدًا عن الغموض أو التعقيد[47]. من جهة أخرى، فقد جمع الأستاذ عبد الله دراز كل الآيات المتفرقة حول الأخلاق وقام بتفسيرها في كتاب واحد، كما فعل في كتابه: الأخلاق في القرآن الكريم.

القاعدة الخامسة: إدراك حدود العقل في فهم القرآن: أكد الشيخ دراز أن القرآن الكريم يحتوي على جوانب لا تُدرك بالعقل المجرد أو التفكير الفلسفي وحده، كما أنه يضم حقائق لا يمكن الوصول إليها بالوجدان أو الشعور الداخلي فحسب. وقد أشار إلى أن العقل البشري، مهما بلغ من الذكاء، لا يستطيع الإحاطة بجميع معاني القرآن، لأن فيه قسمًا من المعارف النقلية المحضة التي لا يمكن للعقل أن يستنتجها أو يخترعها، ومن ذلك:

1. الوقائع التاريخية التي لا مدخل للعقل فيها

يضم القرآن الكريم أخبارًا دقيقة عن الأمم السابقة، وأحداثًا تاريخية مفصلة، وأرقامًا محددة تتعلق بتلك الوقائع، وهي أمور لا يمكن للعقل الوصول إليها بمجرد الذكاء أو الاستنباط. ومثل

[47] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، 9-10.

هذه الأخبار لم يكن للنبي ﷺ طريق إلى معرفتها، لكونه أميًّا لم يدرس كتب التاريخ، وإنما تلقاها وحيًا من الله تعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى إنكار المشركين لهذه الأخبار، إذ قالوا :﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفرقان: 5]. فرد عليهم القرآن ردًّا قويًّا، مفندًا مزاعمهم بقوله: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: 16][48].

2. الحقائق الدينية الغيبية التي لا يمكن للعقل إدراكها

يشمل القرآن تفاصيل دقيقة عن عالم الغيب، مثل وصف الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والملائكة والجن، كما يذكر بعض الأعداد المرتبطة بهذه العوالم، كعدد الملائكة الموكلين بجهنم[49]. وهذه الأمور خارجة عن نطاق الإدراك العقلي، مما يؤكد أن مصدر القرآن ليس العقل البشري، بل هو وحي من الله تعالى، كما قال :﴿**إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: 192-194].

القاعدة السادسة: الاعتماد على أنباء المستقبل الجازمة في دلالتها على مصدرية القرآن

جاء القرآن بإخبار غيبية يقينية عن بقاء الدين الإسلامي، وخلود القرآن، وتحديه للعالم أجمع، وثبوت عجزهم عن الإتيان بمثله، وهذه قضايا مستقبلية لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي. ومن الغيوب التي أخبر بها القرآن، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: 67].

[48] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص34.

[49] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص34.

وقد جاء هذا الوعد الإلهي بعصمة النبي ﷺ من الأذى في وقتٍ كان فيه مستهدفًا من أعدائه، وبعد نزول هذه الآية، ترك النبي ﷺ اتخاذ الحراس، وتحققت العصمة الإلهية له في مواقف عديدة، مما يؤكد أن هذا الإخبار لم يكن من عنده، بل هو وحي صادق من الله.

القاعدة السابعة: التركيز على مقام العنصر العملي في الخطاب القرآني: وبلغت أهمية الجانب العملي في القرآن، أنه يتكرر ذكره كثيراً بصراحة، وكشرط لا غنى عنه للفلاح والسعادة الخالدة في الآخرة. وعندما لا ينص القرآن على ذلك في عبارته في موضع ما، فإن كلمه «مؤمن» تتضمنه وتلمح إليه بما يتفق مع مفهوم الإيمان[50].

القاعدة الثامنة: قاعدة عقد المقارنات لإحقاق الحق: تتجه دراسة الشيخ محمد عبدالله دراز في دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة غير أنه في انطلاقه الأول للخطة لم يكن دراسات مقارنة بل كان محدوداً بعرض القانون الأخلاقي المستمد من القرآن وإضافة ذلك السنة النبوية الشريفة باعتباره المبيّن الأول. غير أن الأستاذ لويس ماسينيون– m. Louis massignon الأستاذ في الكوليج دي فرانس، في معهد الدراسات العليا بباريس– قد أبدى له رأيه في أن يرى هذه الدراسة تتناول في نفس الوقت بعض نظريات المدارس الإسلامية المشهورة،. كما أن الأستاذ رينيه لوسن m. Rene le senne –الأستاذ بكلية الآداب، بجامعة باريس– قد اقترح أيضاً أن يقارن النظرية الأخلاقية المستمدة من القرآن ببعض النظريات الغربية وقد وافق الشيخ محمد عبدالله دراز هذه الاقتراحات[51]. ومن المقارنات التي قام بها رحمه الله، مقارنة بين المبادئ الأخلاقية في التوراة والقرآن، فقد أورد ما جاء في التوراة، في سفر الخروج، الفصل العشرين، عشرة وصايا، هي: لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً،

[50] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ترجمة: محمد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، (الكويت: دار القلم، ط5، 2003م) ص94.

[51] انظر: المرجع السابق، ص17.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
e-ISSN: 2600-8394 VOL. 8. No. 2 December (1446-2024)

أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة الزور، لا تشته بيت قريبك، ولا شيئاً مما لقريبك. ثم أورد ما جاء في النصوص القرآنية، ما يماثلها، قال تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ﴾ [الحج: 30]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ﴾ [البقرة: 224]، ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ} [المائدة: 89]، وقال تعالى:﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ [الإسراء: 23]، وقال تعالى:﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، وقال تعالى:﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ... ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 30 – 31]. وقال تعالى: ﴿وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما﴾ [المائدة: 38]، ﴿وَلا يَسْرِقْنَ .. ﴾ [الممتحنة: 12]، وقال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج 30]، وقال تعالى:﴿وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ [النساء 32] [52]. ثم قال: هذه هي أسس القانون الأخلاقي في القرآن، ذلك أن القرآن يضطلع بواجبه الأول كاملا، ألا وهو حفظ وتبليغ مضمون الكتب السماوية السابقة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]، إلا أنه وفاءا لطريقته الفريدة في العرض بدلا من أن يجمع نصائحه ومواعظه دفعة واحدة، يفضل أن يقدم كل درس في مناسبته[53]. ذلك أن هدف القرآن الأول: هو أن يحافظ على التراث الأخلاقي الذي نزلت به الكتب المقدسة السابقة، ويؤيده. كما أن له فإن له رسالة أخرى لا تقل عنه أهمية وقدسية، ألا وهي إتمام وإنهاء الصرح الإلهي الذي بناه الرسل والأنبياء عليهم السلام على مر العصور. يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت

[52] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص99.

[53] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص102.

لأتمم صالح الأخلاق»[54] ويقول: «مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى بيتاً»[55] أو كما يقول القرآن ذاته إن هدفه أن يوضح للناس أقوم الطرق في السلوك والاعتقاد. كما يجب أن يستند المفسر إلى أصول وقواعد علمية تيسر له استنباط المعاني، وتحفظه من الزلل في الفهم أو التطبيق. وتكتسب هذه المهمة أهمية خاصة في العصر الحالي، حيث تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات جديدة تتطلب قراءات معاصرة للقرآن، تبرز قدرته على معالجة القضايا الراهنة.

إضافة إلى ذلك، يشمل التعامل مع النص القرآني التفاعل مع التراث الفقهي والتفسيري الذي أُنتج عبر العصور، مما يسهم في تشكيل رؤية متكاملة تعزز الفهم العميق للإسلام وتيسر سبل تطبيقه في الحياة اليومية. بهذا، يصبح التعامل مع النص القرآني مسؤولية علمية وأخلاقية، تهدف إلى إحياء الفكر الإسلامي وتوجيه الأمة نحو تحقيق العدالة والرحمة التي ينادي بها القرآن.

فالتّعامل مع النّص القرآني قضية مهمة نظراً لهذا الواقع المؤسف الذي يعيش فيه المسلم اليوم فالشيخ **محمد الغزالي** رحمه الله هو ممن حاول معالجة هذا الموضوع وله كتاب قيّم مقدم بعنوان "كيف نتعامل مع القرآن"[56]، هذا، ويطرح الشيخ عمر عبيد حسنة في مقدمته للكتاب سؤالاً مفيدًا: كيف يمكن التّعامل مع القرآن، وتدبر آياته، والإفادة من معطيات العلوم وآلات فهمها، ليكون القرآن مصدر المعرفة، وفلسفتها في شعاب العلوم الاجتماعية جميعًا؟ حيث لابد لنا إذا أردنا ذلك من العودة إلى القرآن كمصدر لمعارف الحياة، وفقه المعرفة والحضارة للقيام بدورنا بمسؤولية الشهادة على الناس، والقيادة لهم وإلحاق الرحمة بهم كل هذا يكون بمحاولة اظهار وتحقيق الرؤية

[54] محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ط2، 1379هـ)، ص104، الرقم: 273. قال الشيخ الألباني: صحيح.

[55] صحيح البخاري عن أبي هريرة كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج7، ص370.

[56] **كيف نتعامل مع القرآن**، كتاب عظيم جدا رفيع القدر يبين فضية فهم المناهج القرآنية وطرق التعامل مع القرآن حاول الشيخ محمد الغزالي من خلاله معالجة مواضيع مهمة جدا، كتاب متور وهذه الطبعة محققة منشورة: دار نهضة مصر، ط7، 2005م تحقيق: عمر عبيد حسمه.

القرآنيّة الكاملة بجوانبها المختلفة[57].وعلى ذلك فيمكن القول بأنّ معظم مشكلة المسلمين اليوم هي قد يكون عدم معرفة طريق الفهم الصّحيح الموصل إلى التدبر وكسر الأقفال على العقول، وتجديد الاستجابة مع التقصير عن تجديد وسيلتها، ليكونوا في مستوى القرآن ومستوى العصر سواء. فالأزمة ليستْ غياب المنهج، بل فقدان وسائل التي تمكن فهم المنهج بما يوازن عقلية المعاصرة، وكيفيّة التّعامل مع النّص القرآني[58].

من جهة أخرى، يُعتبر النص القرآني جوهر الإيمان، ومصدر التشريع الأساسي للمسلمين، حيث يُمثل كلام الله تعالى الذي أُنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، حيث يتميز القرآن الكريم بجمال لغته وبلاغته، ويحتوي على معاني عميقة تعكس القيم الروحية والأخلاقية والعملية التي تشكل أسس الحياة الإنسانية. كما أن القرآن الكريم يمثل دليلاً شاملاً يتناول جميع جوانب الحياة، بدءًا من العقيدة والعبادات، وصولًا إلى الأخلاق والسياسة والاجتماع؛ هذا بالإضافة إلى أنه يتميز النص القرآني بالتحدي البلاغي، حيث أُنزِل بلغة عربية فصيحة، وقد جاء بآيات تتحدى البشر أن يأتوا بمثله. وقد اهتم علماء المسلمين على مر العصور بتفسيره وفهم دلالاته، مما أدى إلى ظهور العديد من المدارس الفكرية والمناهج التفسيرية التي تسعى إلى فهم معانيه بطرق متنوعة.

القاعدة التاسعة: البحث عن المراد الأخلاقي في النصوص القرآنية: المدقق في فكر الشيخ عبد الله دراز، يجد أن التعامل مع النص القرآني عنده، ليس مجرد قراءة أو تلاوة، بل يتطلب فهماً عميقًا لمضامينه واستخراج الأحكام والقيم منه، وأهم ما فيه، البحث عن مراده الأخلاقي. وخير مثال على ذلك، أنه حين تحدث عن الصيام نظر إليه نظرة مختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

[57] انظر: محمد الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن؟**، تحقيق: عمر عبيد حسنة، (نهضة مصر: القاهرة، ط7، 2005م)، ص21.

[58] انظر: المرجع نفسه، ص13-14.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
e-ISSN: 2600-8394 VOL. 8. No. 2 December (1446-2024)

آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، قال: إن المتأمل في مراد النص القرآني يجد أنه طريقة للتكفير عن الذنب[59].

وفي مثال آخر، قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**﴾ [المائدة: 95]، قال رحمه الله: إن قراءة النص ذاتها، تكفي لبيان أن المراد الأخلاقي اللازم للتوبة: ﴿**لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**﴾. فالمطلوب هو أن يشعر المخطئ بفداحة عمله الماضي، لا أن يشعر بالحرمان المادي الذي يتحمله الآن. ومع ذلك فكيف نطبق مقصد هذا الألم البدني على طريقة الجزاء الأخرى "القربان والصدقة"، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة في نفس الوقت؟[60].

ثم تحدث عن علاقة الأخلاق بالتربية من خلال القرآن، حيث تتكامل لتشكيل الإنسان الكامل، وهي:

التربية البدنية: تهدف إلى تنمية صحة الجسم وحمايته.

التربية الأدبية: تتعلق بتحسين البيان وإصلاح اللسان.

التربية العقلية: تهتم بتثقيف العقل وتصحيح التفكير.

التربية العلمية: تُعنى بتزويد الفرد بالمعرفة الصحيحة والنافعة.

التربية المهنية: تركز على تدريب الإنسان على كسب العيش بوسائل مشروعة.

التربية الفنية: تساعد على تنمية الذوق والشعور بالجمال والتعبير عنه.

---

[59] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص638.

[60] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص638.

التربية الاجتماعية والوطنية: تهدف إلى تعريف الفرد بحقوقه وواجباته داخل المجتمع.

التربية الخلقية: تسعى إلى تعزيز القيم الأخلاقية وتهذيب السلوك.

التربية الدينية: ترشد الإنسان إلى الإيمان والتقوى والسلوك المستقيم.

التربية النفسية: تعمل على تطوير التوازن العاطفي والاستقرار النفسي[61].

ثم قال رحمه الله: ولقد يذهب الظن بالناظر في هذا البسط والتقسيم إلى أن علم الأخلاق إنما يعني به هذه الشعبة الواحدة من بين هذه الشعب، وهي التربية الخلقية، ولكن الحقيقة أن الأخلاق تشمل جميع هذه الأنواع من التربية، إذ إن كل واحدة منها تتصل بغيرها، وتسهم في تكوين الإنسان الكامل من جميع الجوانب[62].. بهذا يوضح الشيخ دراز أن علم الأخلاق ليس مقتصرًا على التربية الخلقية فقط، بل يتداخل مع جميع جوانب التربية الأخرى، مثل التربية العقلية والعلمية والاجتماعية، مما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من بناء شخصية الإنسان.

ليس الأمر كما قد يتبادر إلى الذهن من أن علم الأخلاق محصور في جانب معين من حياة الإنسان، بل إن سلطانه يشمل جميع أوجه النشاط الإنساني، سواء كان تربويًّا أو غير تربويٍّ، فلا يخرج عن دائرة تأثيره أي نشاط، سواء كان بدنيًّا، أو عقليًّا، أو فنيًّا، أو أدبيًّا، أو روحيًّا.

فالفنان الذي يقدم أعمالًا فنية تخالف مبادئ الحشمة واللياقة، وتهتك ستار الحياء والعفاف، يكون قد تجاوز حدود الأخلاق، حتى وإن لم يكن ذلك مخالفًا لقواعد الفن. وكذلك المعلم الذي يستخدم في تدريسه مواد تحتوي على ألفاظ بذيئة أو تشجع على السلوك المنحرف، فإنه يسيء إلى تلاميذه ويضللهم، وإن كان يظن أنه يؤدي عمله على الوجه الصحيح. أما المرشد

[61] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص39.

[62] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص39.

الديني أو المبشِّر الذي يلجأ إلى وسائل غير مشروعة، مثل الكذب والخداع، أو الإغراء بالمال والجاه لاستمالة الناس إلى دينه، فإنه يرتكب جريمة أخلاقية من أقبح الجرائم.

وهكذا، فإن كل مجالات التربية، على اختلاف أنواعها، لا بد أن تلتزم بالضوابط الأخلاقية في وسائلها وأساليبها ودوافعها، ويجب أن يتم قياسها جميعًا بمقاييس الفضيلة. ومع ذلك، فإن التربية الأخلاقية تمتاز عن غيرها من فروع التربية بكونها تهدف بشكل مباشر إلى تدريب الإنسان على السلوك القويم، وغرس الفضائل في شخصيته، مما يجعل علاقتها بعلم الأخلاق أوثق وأشد ارتباطًا من غيرها من المجالات.[63]

يشير الشيخ محمد عبد الله دراز في هذا النص إلى شمولية الأخلاق وامتداد سلطانها على جميع مجالات الحياة. فهو يؤكد أن الأخلاق ليست مقتصرة على السلوك الفردي المباشر، وإنما تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان، سواء كان ذلك في المجال الفني أو العلمي أو التربوي أو الديني.

- **الأخلاق في الفن** :يرى أن الفن لا يمكن أن يكون معزولًا عن القيم الأخلاقية، فالأعمال الفنية التي تخدش الحياء أو تتجاوز حدود اللياقة، وإن كانت مقبولة وفقًا لمعايير الفن، تبقى محط استهجان من الناحية الأخلاقية، لأن تأثيرها يتجاوز الشكل الجمالي إلى التأثير في وجدان المجتمع.
- **الأخلاق في التعليم** :المعلم ليس مجرد ناقل للمعرفة، بل هو موجِّه أخلاقي أيضًا، لذا فإن اختيار المحتوى التعليمي يجب أن يكون مسؤولًا، بحيث يعزز القيم الفاضلة بدلاً من أن يكون وسيلة غير مباشرة لنشر الفساد والانحراف الأخلاقي.

[63] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص40.

- **الأخلاق في الدعوة الدينية** :لا يمكن للدعوة إلى الدين أن تقوم على وسائل غير أخلاقية، مثل الكذب أو الخداع أو الإغراء بالمكاسب المادية، لأن ذلك يتناقض مع جوهر الرسالة الدينية التي تقوم على الصدق والإخلاص.

كما يؤكد دراز أن الفضيلة لا ينبغي أن تكون مجرد أمر نظري أو فكرة مجردة، بل يجب أن تصبح سلوكًا متكررًا، حتى تتحول إلى عادة ثابتة. وهذا لا يتحقق إلا من خلال **الممارسة المستمرة والتربية العملية**. ويشير إلى أن الإنسان قد يجد في البداية صعوبة في التمسك بالسلوك الفاضل، لكنه مع التكرار يصبح ذلك جزءًا من طبيعته[64].

كما يناقش دراز الفكرة التي طرحها بعض الفلاسفة، مثل سقراط، الذي اعتقد أن الفضيلة تأتي من المعرفة وحدها، وأفلاطون، الذي رأى أن الفضيلة تحتاج إلى تدريب مستمر. ويؤكد دراز أن الفضيلة تحتاج إلى **إرادة قوية، وعزيمة نافذة، وتربية عملية مستمرة** حتى تتحول إلى جزء من شخصية الإنسان

القاعدة العاشرة: اعتبار السياق التاريخي والثقافي للنزول جزءًا أساسيًا من عملية الفهم: حيث يسهم في توضيح معاني الآيات وتطبيقها على القضايا المعاصرة. وفي العصر الحديث، تتزايد التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مما يستدعي قراءات جديدة ومتجددة للقرآن، تُبرز قدرته على معالجة القضايا المستجدة وتقديم الحلول المناسبة لها. من هنا، يصبح فهم النص القرآني وتطبيقه بشكل صحيح واجبًا علميًا وأخلاقيًا، يستدعي من المفسرين والباحثين تضافر الجهود لتيسير سبل الوصول إلى معانيه وتحقيق تأثيره الإيجابي في الحياة اليومية للمسلمين. يقول الأستاذ دراز: وإياً كان الاعتقاد في منشأ القرآن — قدسياً كان أم بشرياً– فمن الثابت تاريخياً، أنه يرجع إلى محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم. فإما أنه استقاه من أعماق نفسه، ومن معارف بيئته،

[64] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص39.

كما يقول الكافرون، أو أنه تلقاه حرفياً بإملاء رسول سماوي وسيط بينه وبين الله، عز وجل، كما يؤكد ذلك القرآن أكثر من مرة: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: 193-194]. والسياق التاريخي يتطلب منا أن نعرف أسرار هذا النص المقدس المعجز، كما قال دراز رحمه الله: غير أن النص المنزل لم يقتصر على كونه قرآنًا أو مجموعة من الآيات التي تُتلى أو تُقرأ، وتحفظ في الصدور، وإنما كان أيضًا كتابًا مدونًا بالمداد، فهتان السورتان تتظافران وتصحح كل منهما الأخرى. ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كلما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين، أملاه من فوره على كتبة الوحي ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيديهم، مثل الورق أو الخشب أو قطع الجلد أو صحائف الحجارة وكسر الأكتاف[65].

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. أثبت البحث أن الأستاذ محمد عبد الله دراز قد تبنى منهجًا متميزًا في تفسير القرآن الكريم : حيث اعتمد في تفسيره على قواعد منهجية صارمة، تركز على الجمع بين الفهم العقلي والنقل، مما جعله يحقق توازنًا بين العقل والنقل في تفسير النصوص.
2. أوضح البحث أن القواعد المنهجية التي استخدمها الأستاذ دراز تُعد نوعية ونادرة في الساحة الفكرية :حيث كان يعتمد على تحليل النصوص من خلال دراسة السياق الكلي للآيات، بالإضافة إلى التركيز على المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، مما جعله يتفرد في منهجيته مقارنة بمفسرين آخرين.
3. بين البحث أن منهج الأستاذ دراز يتسم بالتكامل بين العقل والإيمان :فقد كان يعزز فكرة أن العقل هو أداة لفهم النصوص القرآنية دون أن يتناقض مع الإيمان، بل يعمل في تناغم معه لتحقيق فهم شامل للنصوص الشرعية.

[65] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص34.

4. أكد البحث أن المنهج الذي تبناه الأستاذ دراز يعتمد على التدبر والتفكر العميق في القرآن :فقد قام بتطبيق أسلوب شامل يعكس طبيعة النص القرآني ويمنح المتلقي قدرة على الوصول إلى معانيه العميقة بناءً على قواعد فكرية محكمة.
5. استنتج البحث أن القواعد المنهجية التي وضعها الأستاذ دراز قد مهدت الطريق لأسلوب جديد في تفسير القرآن :من خلال تركيزه على منهجية تجمع بين الفهم العقلاني وتحليل النصوص، استطاع أن يساهم في تجديد الفكر القرآني في العصر الحديث.
6. كشف البحث أن الأستاذ دراز اعتمد على الأسلوب الكلي في فهم القرآن :حيث اعتبر أن فهم جزء من القرآن يجب أن يتم ضمن السياق العام للقرآن كله، مما جعله يتفرد بتفسير النصوص بناءً على هذه الفكرة التي تعزز من التأويل المتكامل.
7. أشار البحث إلى أن الأستاذ دراز أعطى اهتمامًا كبيرًا للبعد التاريخي والاجتماعي للآيات : حيث ربط بين النصوص القرآنية والواقع الاجتماعي، موضحًا كيف أن الأحكام القرآنية تتفاعل مع التطورات البشرية على مر العصور.
8. بين البحث أن منهج الأستاذ دراز في تفسير القرآن كان يعتمد على الجمع بين التفسير الموضوعي واللغوي :حيث كان يحرص على تفسير الآيات في ضوء مقاصد الشريعة، مما أضاف بعدًا جديدًا في فهم القرآن.
9. أكد البحث أن الأستاذ دراز كان يولي أهمية خاصة لفهم القرآن في إطار سياق حضاري عالمي :فقد كان يحرص على أن يكون فهم القرآن مرتبطًا بالواقع المعاصر وقضايا الأمة الإسلامية، مما جعله رائدًا في هذا المجال.
10. أظهر البحث أن الأستاذ دراز قد أسهم بشكل كبير في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر :من خلال تقديمه لأسس منهجية مبتكرة في تفسير القرآن، كانت بمثابة نقلة نوعية في مجالات الدراسات القرآنية والتفسيرية.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

Muhammad Abdullah Daraz. *The Great News: New Perspectives on the Holy Qur'an.* Edited by: Amr Al-Sharqawi. (Egypt: Alam Al-Adab for Translation and Publishing, 2022).

Muhammad Abdullah Daraz. *The Great News.* Introduced by: Abdul Azim Ibrahim Al-Mutaani. (Beirut: Dar Al-Qalam, 2005).

Muhammad Abdullah Daraz. *The Constitution of Ethics in the Qur'an.* (Beirut: Al-Risala Foundation, 1998).

Abdullah bin Muslim bin Qutaybah. *The Strange Words of the Qur'an.* Investigation: Ahmed Saqr. (Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1978).

Muhammad bin Makram bin Manzur. *Lisan al-Arab.* (Beirut: Dar Sadir, 1414 AH).

Ahmad bin Faris bin Zakariya al-Razi. *Dictionary of Language Standards*. Edited by: Abdul Salam Muhammad Harun. (Beirut: Dar al-Fikr, 1979).

Khalid bin Othman Al-Sabt. *The Rules of Interpretation: Collection and Study.* (Riyadh: Dar Ibn Affan, 1997).

Ibrahim bin Musa Al-Shatibi. *Al-Muwafaqat.* Investigation: Abu Ubaidah Mashhur bin Hassan Al Salman. (Beirut: Dar Ibn Affan, 1417 AH).

Muhammad bin Ismail al-Bukhari. *Sahih al-Bukhari*. (Beirut: Dar Taiba for Publishing, 1999).

Muhammad al-Ghazali. *How do we deal with the Qur'an?* Investigation: Omar Obaid Hasna. (Cairo: Dar Nahdet Misr, 2005).

Ayyoub Al-Kubaisi Clinic. *Methods of Interpreters between Influence and Renewal, Presentation and Criticism*. Journal of the College of Islamic Sciences, University of Sharjah, 2010.

Mahmoud Al-Sayed Ali Al-Naqrashi. *Methods of Interpreters from the First Era to the Modern Era*. (Al-Nahda Library: Al-Qassim, 1986 AD).

Muhammad Abdullah Daraz. *Words on the Principles of Ethics*. (Hindawi Foundation, 2021).

Muhammad Abdullah Daraz, *Introduction to the Holy Qur'an: A Historical Presentation and Comparative Analysis*. Translated by: Muhammad Al-Azim Ali. (Kuwait: Dar Al-Qalam, 2003).

Ahmed bin Ali Abu Bakr Al-Jassas. *Chapters on the Principles*. (Ministry of Endowments: Kuwait, 1994).